قال الطغرائى يفتخر

أبى اللهُ أن أسْمو بغير فضائلى * اذا ما سما بالمال كُلُّ مُسَـــوَّدِ
وان كَرُمَتْ قبلى أوائلُ أُسْرَتى * فانى بحمد الله مبدأ سُؤْددى
يُذَمُّ لاجلى المُهْر ان يَكْبُ مرةً * بجَدّى وان ينهض بجدّىَ يُحْمَد
وما منصبٌ الا وقَـدْرىَ فوقَه * ولو حُطَّ رَحْلى بين نَسْرٍ وفَرْقَد
اذا شرُفت نفسُ الفتى زاد قدرُه * على كل أسنَى منه ذكْرًا وأمجد
كذالك حديد السيف ان يَصْفُ جوهرا * فقيمتُه أضعافه وَزْن عَسْجَد
تكادُ تَرَى مَن لا يُقاس بجادُه * بشِسْعى اذا ماضَمَّنا صَدرُ مَشهد
وما المـــالُ الا عارةٌ مُسْتَرَدّة * فهلّا بفضلى كاثَرُونى وتحتدى
اذا لم يكن لى فى الولاية بَسْطةٌ * يَطول بها باعى وتَسطو بها يدى
ولا كان لى حُكْمٌ مُطاع أُجيزه * فأُرغم أعدائى وأَكْبتُ حُسَّدى
فأُعْذَرُ ان قصَّرتُ فى حَقّ مُجْتَد * وآمَنُ أن يعتادنى كيدُ مُعْتَد
أأُكْفَى ولا أَكفِى وتلك غَضَاضة * أرى دونَها وقْعَ الحُسام المُهَنَّد
ولولا تكاليف العُلَى ومَغارمٌ * ثقالٌ وأعقاب الاحاديث فى غد
لأعطيتُ نفسى فى التخلّى مُرادَها * فذالك مُرادى مُذ نشأتُ ومقصدى
من الحزم أن لا يَنْجَر المرءُ بالذى * يُعانيه من مكروهة فكأن قد
اذا جَلدى فى الامر خانَ ولم يُعِنْ * مُرَيرَةُ عزمى نابَ عنه تَجَلُّدى

ومن يستعن بالصبر نال مُرادَه * ولو بعدَ حينٍ انه خيرُ مُسعد

المقامة الاولى الصَنْعانية

حدّث الحارث بن هَمّام قال لما اقتعدْتُ غاربَ الاغتراب وأنأتني المَـثْرَبة عن الاتراب طَوحتْ بي طوائحُ الزمن الى صَـنعاء اليمن فدخلتُها خاوِيَ الوِفاض بادِيَ الانْفاض لا أملكُ بُلْغـه ولا أجد في جرابي مُضْغـه فطفقْتُ أجوب طُرُقاتها مثْـلَ الهائم وأجُول في حَوْماتها جَوَلانَ الحائم وأرُود في مَسارح لَحاتي ومَسايح غَدَواتي ورَوْحاتي كريما أُخْلق له ديباجَتي وأبُوح اليـه بحاجَتي أو أديبًا تُفَرّج رُؤيَتُـه غُمّتي وتُروى روايَتُـه غُلّتي حتى أدّتْني خاتمةُ المَطاف وهَـدَتْني فاتحـةُ الأَلْطاف الى نادٍ رَحيب مُحْتَوٍ على زحام ونَحيب فوَلَجْتُ غابةَ الجَمْع لأَسْبُرَ مُجْلَبَةَ الدَمْع فرأيت في بُهْرة الحَلْقة شَخْصا شَخَتَ الخلْقة عليـه أُهْبَة السـياحة وله رَنّة النياحة وهو يَطْبَع الأَسْماع بجَواهر لَفْظه ويَقْرَع الأَسْماع بزَواجر وَعْظه وقد أحاطَت به أخْلاط الزُمَر احاطَةَ الهالة بالقَمَر والاكَمام بالثَمَر فدَلَفْتُ اليـه لأَقْتَبس من فوائده وأَلْتَقط بَعض فرائده فسمعتُـه يقول حينَ خَبّ في مَجاله وهَـدَرَتْ شَقاشِقُ ارتجاله أيُّها السادر في غُلَوائه السادل ثَوْبَ خُيَلائه الجامح في جَهالاته الجانح الى نُخَزْعِـلاته إلامَ تَسْتَمِرّ

على غيّك وتستمرئ مرعى بغيك وحتام تتناهى فى زهوك ولا تنتهى
عن لهوك تبارز بمعصيتك مالك ناصيتك وتجترئ بقبح سيرتك
على عالم سريرتك وتتوارى عن قريبك وأنت بمرأى رقيبك وتستحى
من مملوكك وما تخفى خافيـة على مليكك أتظن أن ستنفعك حالك
اذا آن ارتحالك أو ينقذك مالك حين توبقك أعمالك أو يغنى
عنك ندمك اذا زلت قدمك أو يعطف عليك معشرك يوم يصمك
محشرك هلا انتهجت محجة اهتدائك وعجلت معالجة دائك وفللت
شباة اعتدائك وقدعت نفسك فهى أكبر أعدائك أما الحمام ميعادك
فما إعدادك وبالمشيب انذارك فما اعذارك وفى اللحد مقيلك فما
قيلك والى الله مصيرك فمن نصيرك طالما أيقظك الدهر فتناعست
وجذبك الوعظ فتقاعست وتجلت لك العبر فتعاميت وحصحص لك
الحق فتماريت وأذكرك الموت فتناسيت وأمكنك أن تواسى فما آسيت
تؤثر فلسا توعيه على ذكر تعيه وتختار قصرا تعليه على بر تواليه
وترغب عن هاد تستهديه الى زاد تستهديه وتعلب حب ثوب تشتهيه
على ثواب تشتريه مواقيت الصلات أعلق بقلبك من مواقيت الصلاة
ومغالاة الصدقات آثر عندك من موالاة الصدقات وصحاف الالوان
أشهى اليك من صحائف الاديان ودعابة الاقران آنس لك من

تلاوة القرآن تأمر بالعُرف وتنتهك حماه وتحمى عن النُكر ولا تتحاماه وتزجر عن الظُلم ثم تغشاه وتخشى الناس والله أحقُّ أن تخشاه

ثم أنشد

تبًّا لطالب دُنيا ✻ تنى اليها أنصبابَهْ
ما يستفيق غراما ✻ بها وفرط صبابَهْ
ولو درى لكفاه ✻ مما يروم صُبابَهْ

ثم انه لبَّد عجاجتَهْ وغمَّض مُجاجتَهْ واعتضد شكوتَهْ وتأبَّط هراوتَهْ فلما رنت الجماعة الى تحفُّزه ورأت تأهُّبه لمُزايلة مركزه أدخل كلٌّ منهم يده فى جيبه فأقعَ له سجلا من سيبه وقال اصرف هذا فى نفقتك أو فرِّقه على رُفقتك فقبله منهم مُغضيا وانثنى عنهم مُثنيا وجعل يودِّع من يُشيِّعه ليخفى عليه مهيعه ويُسرب من يتبعه لكى يجهل مربعه (قال الحارث بن همام) فاتبعتُه مُواريًا عنه عيانى وقفوت اثرَه من حيث لا يرانى حتى انتهى الى مغارَه فانساب فيها على غرارَه فأمهلتُه ريثما خلع نعليه وغسل رجليه ثم هجمتُ عليه فوجدتُه مُشافنًا لتلميذ على خُبز سميذ وجدْى حنيذ وقُبالتَهما خابيةُ نبيذ فقلت له ياهذا أيكون ذالك خبرك وهذا مخبرك فزفر زفرة القيظ وكاد يتميز من الغيظ ولم يزل يُحملق الىّ حتى خفتُ أن يسطو علىّ فلما أن خبتْ ناره وتوارى أُواره أنشد

لَبِسْتُ القَمِيصَةَ أَبْغِي القَبِيصَه * وأَنْشَبْتُ شِصِّيَ فِي كُلِّ شِيصَه
وصَيَّرْتُ وَعْظِي أُحْبُولَةً * أُرِيغُ القَنِيصَ بِهَا والقَنِيصَه
وأَلْجَأَنِي الدَّهْرُ حَتَّى وَلَجْتُ * بِلُطْفِ احْتِيالِي عَلَى اللَّيْثِ عِيصَه
عَلَى أَنَّنِي لَمْ أَهَبْ صَرْفَه * ولا نَبَضَتْ لِيَ مِنْه فَرِيصَه
ولا شَرَعَتْ بِي عَلَى مَوْرِدٍ * يُدَنِّسُ عِرْضِيَ نَفْسٌ حَرِيصَه
ولو أَنْصَفَ الدَّهْرُ فِي حُكْمِه * لَمَا مَلَّكَ الحُكْمَ أَهْلَ النَّقِيصَه

ثم قال لي ادْنُ فَكُلْ وان شِئْتَ فَقُمْ وقُلْ فالْتَفَتُّ الى تلميذه وقُلْتُ عَزَمْتُ عليكَ بِمَنْ تَسْتَدْفِعُ به الأَذَى لَتُخْبِرَنِّي مَنْ ذَا فقال هذا أبو زَيْد السَّرُوجِيّ سِرَاجُ الغُرَبَاءِ وتَاجُ الأُدَبَاءِ فانْصَرَفْتُ من حَيْثُ أَتَيْتُ وقَضَيْتُ العَجَبَ مما رأَيْتُ

المقامةُ الثالثة الدينارية

رَوَى الحارثُ بنُ هَمَّامٍ قال نَظَمَنِي وأَخْدَانًا لي ناد لم يَخْبُ فيه مُناد ولا بَكَا قَدْحُ زِنَاد ولا ذَكَتْ نارُ عِناد فَبَيْنَا نحنُ نَتَجَاذَبُ أَطْرَافَ الاناشيد ونَتَوَارَدُ طُرَفَ الاسانيد اذْ وَقَفَ بنا شَخْصٌ عليه سَمَلٌ وفي مِشْيَتِه قَمَلٌ فقال يا أَخَايِرَ الذَّخَائِرِ وبَشَائِرَ العَشَائِرِ عُمُّوا صَبَاحًا وأَنْعِمُوا اصْطِبَاحًا وانظروا الى مَنْ كان ذَا نَدِيٍّ ونَدًى وجِدَةٍ وجَدًى وعِقَارٍ وقُرًى ومَقَارٍ وقِرًى فما زالَتْ به قُطُوبُ الخُطُوبِ وحُرُوبُ الكُرُوبِ وشُرُورُ شَرِّ الحُسُودِ

وانتيابُ النُوب السُود حتى صَـفرَتْ الراحه وقَرِعَتْ الساحه وغارَ المَنبَع ونَبا المَربَع وأقوى المجمَع وأقفَر المَجمَع واستحالت الحال وأعوَلَ العيال وخَلَتْ المَرابط ورحم الغابط وأودَى الناطقُ والصامت ورَثى لَنا الحاسدُ والشامت وآلَ بنا الدَهْرُ المُوقِع والفَقْرُ المُدقِع الى أن احتَذَينا الوَحى واغتَذَينا الشيحى واستَبطَنا الحَوى وطَوَينا الاحشاءَ على الطَوى واكتَحلنا السُهاد واستَوطَنا الوِهاد واستَوطَأنا القَتاد وتَناسَينا الأقتاد واستَطبَنا الحينَ المُجتاح واستَبطَأنا اليومَ المُتاح فهل من حُرّ آس أو سَمح مُواس فوالذى استَخرَجَنى من قَبلُه لقد أمسَيتُ أخا عَيلة لا أملك بَيتَ لَيلة (قال الحارث بن همام) فأويتُ لمَفاقره ولَوَيتُ الى استنباط فقره فأبرَزتُ دينارا وقلت له اختبارا ان مَدَحتَه نَظما فهو لَكَ حَتما فانبرى ينشد فى الحال من غير انتحال

أكرِم به أصفَر راقَتْ صُفرَتُه * جَوّابَ آفاق تَرامَتْ سَفرَتُه
مَأثورةً سُمعَتُه وشُهرَته * قد أُودِعَتْ سرَّ الغنى أسرَّتُه
وقارَنَتْ نُجحَ المَساعى خَطرَتُه * وحُبِّبَتْ الى الأنام غُرَّتُه
كأنما من القُلوب نُقرَتُه * به يَصُول مَن حَوَتْه صُرَّته
وان تَفانَتْ أو تَوانَتْ عِترَتُه * ياحَبذا نُضارُه ونَضرَتُه
وحَبذا مَغناتُه ونُصرَتُه * كم آمِرٍ به استَتَبَّتْ أمرَتُه

ومُـتْرَف لَوْلاهُ دامَتْ حَسْرَتُه ✲ وجَيْش هَـمٍّ هَزَمْتُـه كَرَّتُه
وبَدْر تَمٍّ أنْزَلْتُـــه بَدْرَتُه ✲ ومُسْتَشِيط تَتَلَظَّى جَمْـرَتُه
أسَرَّ تَجْـواهُ فَلانَتْ شِـدَّتُه ✲ وكم أسِـيرٍ أسْلَمْتُـه أُسْرَتُه
أنْقَـذْه حتى صَـفَتْ مَسَرَّتُه ✲ وحَقِّ مَوْلًى أبْدَعَتْـه فِطْـرَتُه

لولا التُّقَى لتملتُ جلّت قدرته

ثم بَسَط يَدَه بعـدَ ما أنْشَـدَه وقال أنْجَزَ حُرٌّ ما وَعَد وسَحَّ خالٌ اذ رَعَد فَنَبَذْتُ الدينار اليه وقلت خُذْه غَيْرَ مأسُوفٍ عليه فوضَعَه فى فيه وقال بارِكْ اللهم فيه ثم شَمَّر للانْثناء بعد تَوْفِيَة الثَّناء فَنَشَأَتْ لى من فُكاهَتِه نَشْوَةُ غَرام سَهَّلَتْ عَلَىَّ ائْتِنافَ اغْتِرام فَجَرَّدْتُ دينارًا آخر وقُلْت هل لكَ فى أن تَذُمَّه ثم تَضُمَّه فأنشد مُرْتَجِلا وشَدَا عَجِلا

تَبًّـا لَهُ من خادِعٍ مُمَاذِق ✲ أصْفَرَ ذى وَجْهَيْنِ كالمُنَافِق
يَبْدُو بوَصْفَيْنِ لَعَيْنِ الرامِق ✲ زِينَةَ مَعْشُوق ولَوْنَ عاشِـق
وحُبُّه عنـد ذَوِى الحَقَـائِق ✲ يَدْعُو الى ارْتِكابِ سُخْطِ الخالِق
لولاهُ لم تُقْطَع يَمِـينُ سارِق ✲ ولا بَدَتْ مَظْلَمَةٌ من فاسِـق
ولا اشْمَأَزَّ باخِلٌ من طـارِق ✲ ولاشْتَكَا المَطْلُولُ مَطْلَ العائِق
ولااسْتُعِيذ من حَسُود رَاشِق ✲ وشَرُّ ما فيـه من الخَـلائِق
أنْ ليس يُغْنِى عنكَ فى المَضَايِق ✲ الا اذا فَـرَّ فِـرَارَ الآبِق

وَاهًا لِمَنْ يَقْـذِفُه من حَالِق ✲ ومَن اذا ناجَاهُ نَجْوَى الوامِق

قال له قَوْلَ المُحِقّ الصَادِق ✲ لا رَأْيَ فى وَصْلِكَ لى فَفارِق

فقلت له ما أَغْرَزَ وَبْلَكَ فقال والشَرْطُ أَمْلَكَ فَنَقَحْتُه بالدينار الثانى وقلتُ له عَوِّدْهما بالمَثانى فألقاهُ فى فَمِه وقَرَنَه بتَوْأَمِه وانكَفَأَ يَحْمَد مَغْدَاه ويَمْدَح النَادِىَ ونَدَاه (قال الحارث بن همام) فَنَاجانى قلبى بأنه أبو زيد وأنّ تَعَارُجَه لَكَيْد فاسْتَعَدْتُه وقلتُ له قد عُرِفْتَ بوَشِيكَ فاسْتَقِمْ فى مَشِيكَ فقال ان كنتَ بنَ هَمّام حُيِّيتَ باكْرام وحُيِيتَ بين كرام فقلتُ أنا الحارث فكيف حالُكَ والحَوادث فقال أتَقَلَّب فى الحالَيْن بُؤْس ورَخاء وأنْقَلب مع الرِّيحَين زَعْزَع ورُخاء فقلتُ كيف ادَّعَيْتَ القَزَل وما مِثْلُكَ مَن هَزَل فاسْتَسَرّ بِشْرُه الذى كان تَجَلّى ثم أنشدَ حين وَلَّى

تَعَارَجْتُ لارَغْبَةً فى العَرَجْ ✲ ولكن لأَقْرَعَ بابَ الفَـرَجْ

وأُلْقِىَ حَبْـــلى على غارِبى ✲ وأَسْلُكُ مَسْلَكَ مَن قد مَرَجْ

فان لامَنِى القَوْمُ قلتُ اعْذُرُوا ✲ فليس على أَعْرَجٍ من حَرَجْ

المقامة الحادية والعشرون الرّازيّة

(حدّث الحارث بن همّام) قال عُنيتُ مُذْ أحكَمْتُ تدبيرى وعَرَفْتُ قَبِيلِى من دَبِيرى بأن أَصْغِىَ الى العِظَات وأُلْغِىَ الكَلِمَ المُحْفِظات

لأتحلّى بمحاسن الأخلاق وأتخلّى مما يسم بالاخلاق وما زلتُ آخذ نفسى بهـذا الأدب وأُخمدُ به جمْرة الغضب حتى صار التّطبّع فيه طبـاعا والتكلّف له هوًى مُطاعا فلما حلّتْ بالرّى وقد حلّتْ حُبى الغنّى وعرفْتُ الحىّ من اللّى رأيتُ بها ذات بُكْره زُمْرةً فى اثر زُمْره وهم مُنتشرون انتشار الجراد ومُستنّون استنانَ الجياد ومُتواصفون واعظًا يقصـدونه ويُحلّون ابنَ سمْعون دُونه فلم يتكاءدْنى لاستماع المواعظ واختيار الواعظ أن أُقاسىَ اللّاغط وأحتمل الضاغط فأصحبتُ اصحابَ المطواعه وانخرطْتُ فى سلك الجماعه حتى أفضَيْنا الى ناد جمع الاميرَ والمأمور وحشـد النبيه والمغمور وفى وسط هالته ووسْط أهلّته شيخٌ قد تقوّس واقعنسس وتقلّس وتطلّس وهو يصـدع بوعْظ يشفى الصدور ويُلين الصخور فسمعتُه يقول وقد افتتنتْ به العقول ابنَ آدمَ ما أغرالكَ بما يغرُّك وأضراكَ بما يضرُّك وألهجكَ بما يُطغيـك وأبهجكَ بما يُطريك تُعنَى بما يُعنّيك وتُهمل ما يعنيك وتنزع فى قوس تعـدّيك وترتدى الحرْص الذى يُرديك لا بالكفاف تقتنع ولا من الحرام تمتنع ولا لألفاظ تستمع ولا للوعيد ترتدع دأبُك أن تتقلّب مع الأهواء وتخبط خبْطَ العشواء وهمّك أن تدأب فى الاحتراث وتجمع التراث للوارث يُعجبُك التكاثُر بما لديْك ولا تذْكُر ما بين يديك

وتَسْعَى أبدًا لغارِيك ولا تُبالى أَلَكَ أَمْ عليكَ أتظُنّ أن ستُتْرَكُ سُدَى
وأن لا تُحاسَبَ غَدًا أَمْ تَحْسب أنّ الموت يَقْبَل الرُّشَا أو يُمَيِّز بين الاسد
والرَّشَا كَلّا والله لَن يَدْفَعَ المَنُون مالٌ ولا بَنُون ولا يَنْفَع أهلَ القُبور
سوى العَمَل المَبْرُور فَطُوبَى لمَن سَمِع ووَعَى وحَقّق ما ادّعَى ونَهَى النَّفْسَ
عن الهَوَى وعَلِم أنّ الفائز مَن ارْعَوَى وأن ليس للانسان الا ما سَعَى
وأنّ سَعْيَه سوف يُرَى ثم أنشد انشادَ وَجِل بصَوْتٍ زَجِل

لَعَمْرُكَ ما تُغْنِي المَعَانِي ولا الغِنَى * اذا سَكَن المُثْرِي الثَرَى وثَوَابُه
فَخُذْ فِي مَرَاضِي الله بالمال راضيًا * بما تَقْتَنِي من أجْرِه وثَوَابِه
وبادِرْ به صَرْفَ الزمان فانه * يُخَلِّبُه الأَشْغَى يَغُول ونابُه
ولا تَأْمَنِ الدَّهْرَ الخَؤُونَ ومَكْرَهُ * فكم حامِلٍ أَخْنَى عليه ونابُه
وعاصِ هَوَى النفس الذي ما أطاعَهُ * أخو ضَلَّةٍ الأَهْوَى من عِقَابِه
وحافِظْ على تَقْوَى الاله وخَوْفِه * لتَنْجُوَ مما يُتَّقَى من عِقَابِه
ولا تَلْهِ عن تَذْكارِ ذَنْبِكَ وابْكِه * بدَمْعٍ يُضاهِي المُزْنَ حالَ مَصَابِه
ومَثِّلْ لعَيْنَيْكَ الحِمامَ ووَقْعَه * ورَوْعَةَ مَلْقَاهُ ومَطْعَمَ صَابِه
وانّ قُصَارَى مَنْزِلِ الحَيِّ حُفْرَةٌ * سَيَنْزِلُها مُسْتَنْزِلًا عن قِبَابِه
فَوَاهًا لعَبْدٍ ساءَهُ سُوءُ فِعْلِه * وأَبْدَى التَّلافِي قبلَ اغْلاقِ بابِه

قال فَظَلّ القومُ بين عَبْرَةٍ يُذْرُونها وتَوْبَةٍ يُظْهِرونها حتى كادت

الشمس تزول والفريضة تعول فلما خشعت الاصوات والتأم الانصات واستكنت العبرات والعبارات استصرخ مستصرخ بالامير الحاضر وجعل يجأر اليه من عامله الجائر والامير صاغ الى خصمه لاه عن كشف ظلمه فلما يئس من روحه استنهض الواعظ لنصحه فنهض نهضة الشمير وأنشد معرضا بالأمير

عجبـــا لراج أن ينال ولايةً * حتى اذا ما نالَ بُغْيَتَـــه بغى
يُسْدى ويُلحم فى المظالم والغًا * فى وِرْدها طَوْراً وطورا مُولغا
ما ان يُبالى حينَ يَتَّبع الهَوى * فيها أَأَصْلَحَ دينه أم أَوْتَغَا
ياوَيْحه لو كان يوقن أنه * ما حالةٌ الا تحول لَمَا طَغَى
أو لو تبيَّنَ مانَدامَتُهُ مَن صَغَى * سَمْعًا الى اثْكُ الوُشاة لَمَا صَغَا
وانْقَدْ لمن أضحى الزمامُ بكفه * وتغاضَ إن أَلْفَى الرعايةَ أو لَغَا
وارْعَ المُرارَ اذا دعالَكَ لرَعْيه * ورد الأُجاجَ اذا حَمالَكَ السَّيْغا
واحْمِلْ أَذاهُ اذا أَمَضَّكَ مَسُّهُ * وأسالَ غَرْبَ الدمع منكَ وأفْرَغا
فَلَيُضْحِكَنَّكَ الدهرُ منه اذا نَبا * عنه وشَبَّ لكَيْده نارَ الوَغَى
ولَيَنْزِلَنَّ به الشَمَاتُ اذا بدا * مُتَخَلِّيا من شُغْله مُتَفَرِّغا
ولَتَأْوِيَنَّ له اذا ما خَدَّه * أضحى على تُرْب الهَوان مُمَرَّغا
هذا له ولَسَوْفَ يُوقَفُ مَوْقِفًا * فيه يُرى رَبُّ النصاحة ألثغا

وليُحْشَرَنّ أذلّ من قُمّع القَلا * ويُحاسَبَنّ على النقيصة والشَّغا
ويُؤاخَذَنّ بما اجْتَنَى ومَن اجْتَنَى * ويُطالَبَنّ بما احْتَسَى وبما ارْتَغى
ويُناقَشَنّ على الدقائق مثلَ ما * قد كان يَصْنَع بالورَى بل أبْلَغا
حتى يَعَضّ على الولاية كَفَّه * ويَوَدّ لو لم يَبْـغِ منها ما بَغى

ثم قال أيها المُتَوَشِّح بالولايه المُتَرَشِّح للرعايه دَع الادْلال بدولتك والاغترارَ بصَوْلَتـك فان الدَّوْلَة ريحٌ قُلَّب والامْرَة بَرْقٌ خُلَّب وانّ أسْعَد الرُعاة مَن سَعدت به رَعيّته وأشْقاهُمْ فى الدارَين مَن ساءَت رعايَته فلا تَكُ ممن يَذَرُ الآخرة ويُلْغيها ويُحِبّ العاجلة ويَبْتَغيها ويَظْلِم الرَعيّة ويُؤْذيها واذا تَوَلّى سَعَى فى الارض ليُفْسِدَ فيها فوالله ما يَغْفُلُ الدَّيّان ولا تُهْمِل يا انسان ولا تُلْغِى الاساءَةُ ولا الاحْسان بَلْ سَيُوضَعُ لكُلّ الميزان وكما تَدين تُدان قال فوَجَم الوالى لمَا سَمع وامْتُقِع لَوْنُه وانْتُقِع وجعل يَتَأَفّف من الامْرة ويُرْدِف الزَفْرَةَ بالزَفْرة ثم عَمَد الى الشاكى فَأَسْكاه والى المَشْكُو منه فأشْجاه وألْطَفَ الواعظَ وحَباه واسْتَدْعى منه أن يَغْشاه فانْقَلَبَ عنه المَظْلُوم مَنْصورا والظالمُ مَحْسورا وبَرَزَ الواعظَ يَتَهادى بين رُفْقته ويَتَباهَى بفَوْز صَفْقَته واعْتَقَبْتُه أخْطو مُتَقاصرا وأُرِيه لَحْظا باصرا فلما اسْتَشَفّ ما أُخْفيه وفَطِن لتَقَلُّب طَرْفى فيه قال خَيْرُ دَليلٍ دَليلُكَ مَن أرْشَد ثم اقْتَرَبَ منى وأنشد

أنَا الذى تَعْـــرفه ياحارثُ ✲ حَدْثُ مُلُولٌ فَكَهٌ مُنَافِثُ
أُطْرِبُ مَالاتُطْرِبُ المَثَالِثُ ✲ طَوْرًا أَخُوجِدٍّ وطَوْرًا عَابِثُ
ماغَيَّرَتْنِى بَعْـدَكَ الحَوَادِثُ ✲ ولاالتَّمَى عُودِىَ خَطْبٌ كارِثُ
ولا فَرَى حَدِّىَ نَابٌ فَارِثُ ✲ بل مِخْلَبِى بِكُلِّ صَيْدٍ ضَابِثُ
وكُلُّ سَرْحٍ فيه ذِئْبِى عَائِثُ ✲ حتّى كَأَنِّى لِلأَنَامِ وَارِثُ
سَامُهُم وحَامُهُمْ ويَافِثُ

(قال الحارث بن همام) فقلت له تالله انك لأبو زيد ولقد فُتَّ لله ولا عَمْرو بن عُبَيد فهَشَّ هَشَاشَةَ الكَرِيم اذا أَمّ وقال اسمع يا ابنَ أُمّ ثم انشأ يقول

عليـــكَ بالصـــدق ولَوْ أنهُ ✲ أَحْرَقَكَ الصـدقُ بنار الوَعِيد
وابْغِ رِضَى الله فَأَبْغَى الوَرَى ✲ من أَسْخَطَ المَوْلَى وأَرْضَى العَبِيد

ثم انه وَدَّعَ أَخْدَانَه وانطلَقَ يَسْحَبُ أَرْدَانَه فَطَلَبْنَاه من بَعْدُ بالرَّى واسْتَبْشَرْنا خَبَرَه من مَدَارِج الطَّىّ فما فِينَا مَنْ عَرَف قَرَارَه ولا دَرَى أَىُّ الجَرَاد عَارَه

نُخْبة من وَصِيّة ابن سَعيد المغربى لابْنه وقد أراد السَفَر

أُودِعُكَ الرَحْمَنَ فى غُرْبَتِكْ ✲ مُرْتَقِبًا رُحْمَاهُ فى أَوْبَتِكْ
فَلاَ تُطِلْ حَبْلَ النَوَى انَّنِى ✲ والله اشْتَاقُ الى طَلْعَتِكْ

واختصر التوديع أخذًا فما ✻ لى ناظرٌ يقوى على فرقتك
واجعل وصاتى نصب عين ولا ✻ تبرح مدى الايام من فكرتك
خلاصة العمر التى حنكتْ ✻ فى ساعة زفت الى فطنتك
فللتجاريب أمـــور اذا ✻ طالعتها تشحذ من غفلتك
فـــلا تنم عن وعيها ساعةً ✻ فانها عونٌ الى يقظتـــك
وكل ما كابدته فى النـــوى ✻ ايالّ أن يكسر من همتك
فليس يدرى أصل ذى غربة ✻ وانما تعـــرف من شيمتك
وامش الهوينا مظهرًا عفةً ✻ وابغ رضا الأعين عن هيئتك
وانطق بحيث العى مستقبح ✻ واصمت بحيث الخير فى سكتتك
ولج على رزقك من بابه ✻ واقصد له ماعشت فى بكرتك
ووف كلاّ حقه ولتكن ✻ تكسر عند الفخر من حدتك
وحيثما خيمت فاقصد الى ✻ صحبة من ترجوه فى نصرتك
وللـــرزايا ونبـــة مالها ✻ الا الذى تذخر من عدتك
ولا تقـــل أسلم لى وحدتى ✻ فقد تقامى الذل فى وحدتك
ولتجعل العقـــل محكًا وخذ ✻ كلاّ بما يظهر فى نقـــدتك
واعتبر الناس بألفاظهـــم ✻ واصحب أخًا ترغب فى صحبتك
كم من صديق مظهر نصحه ✻ وفكره وقف على عـــثرتك

اياكَ أن تقْـــــرَبَه انه * عَوْنٌ مع الدهر على كُرْبَتِكْ
وأنْتُمُ تُمْـــوَ النَبْت قد زَارَه * غيْثُ النَدَى واسْمُ الى قُدْرَتِكْ
ولا تُضَيِّعْ زَمَنًا مُمْكِنًا * تَذْكارُه يُذْكى لَظى حَسْرَتِكْ
والشَّرَ مَهْما اسْطَعْتَ لا تأتِه * فانه حُورٌ على مُهْجَتِـــكْ

يابُنَيّ الذى لاناصِحَ له مِثْلى ولا مَنْصوحَ لى مِثْلُه قد قَدَّمْتُ لكَ هذا النَظْم ما ان أخْطَرْتَه بخاطرِكَ فى كل أوان رَجَوْتُ لكَ حُسْن قبة ان شاء اللهُ تعالى وانّ أخَفّ منه للحِفْظ وأعْلَق بالفِكْر وأحَق تَقَدُّم قولُ الاوّل

يَزينُ الغَريبَ اذا ماانْغَرَبْ * ثلاثٌ فَمِنْهُنّ حُسْن الادب
وثانيـــةٌ حُسْن اَخْلاقه * وثالثـــةٌ اجْتنابُ الرّيَبْ

واصْغَ يابنىّ الى البيت الذى هو يتيمة الدهر وسَلِم الكَرَم والصَبْر

ولو أنّ أوطانَ الديارِ نَبَتْ بكُمْ * لَسَكَنْتُمُ الاَخلاق والاداب

اذْ حُسْـن الخُلُق أكرَمُ نَزيل والادبُ أرْحَبُ مَنْزل ولْتَكُنْ كما قال ضهم فى أديب مُتَغَرِّب وكان كلما طَرأ على مَلأ فكأنه مَعَه وُلد واليه مَد غيرَ مُسْتَريب بدَهْره ولا مُنْكِر شيأ من أمره واذا دَعالكَ قَلْبُكَ ى صُحْبة مَن أخذ بمجامع هَواه فاجعل التَكَلُّف له سُلّما رهُبَّ فى حَوض خلاقه هُبوبَ النَسيم وحُلّ بطَرْفه حُلولَ الوَسَن وانْزل بقلبه نُزولَ

المَسَرّة حتى يَتَمَكّن لكَ وِدادُه ويَخْلُص فيكَ اعتقادُه وطَهّر من الوُقوع فيه لسانَكَ وأغْلَقْ سَمْعَكَ ولا تُرَخّص فى جانبه لحَسُود لكَ منـه يُريد ابْعادَكَ عنه لمنفعة أو حَسود له يَغارُ لتَجَمُّله بصُحْبتكَ ومع هذا فلا تَغْتَرّ بطول صحبته ولا تَمْهَد بدوام رَقْدته فقد يُنَبِّهُه الزمان ويَتَغَيّر منه القلب واللسان وانما العاقل مَن جَعل عَقْله مِعْيارا وكان كالمرآة يَلْقى كل وجه بمثاله وفى أمثال العامة من سَبَقَكَ بيوم فقد سَبَقكَ بعَقْل فاحْتَذ بأمثلة مَن جَرّب واسْمَع الى ماخَلّد الماضُون بعد جَهْدهم وتَعبهم من الاقوال فانها خُلاصـة عُمْرهم وزُبْدة تَجارِبهم ولا تَتّكل على عَقْلكَ فانّ النَظَر فيما تَعب فيه الناسُ طُولَ أعمارهم وابْتاعُوه غالِيًا بتَجارِبهم يُرْبحُكَ ويَقع عليكَ رَخيصا وان رأيتَ مَن له عقل ومُروءة وتَجْربة فاسْتَفِدْ منـه ولا تُضَيّع قولَه ولا فعْله فانّ فيما تَلْقاه تَلْقيحا لعقلكَ وحَثّا لكَ واهتداءً وليس كل ما تَسْمع من أقوال الشُعَراء يَحْسُـن بكَ أن تَتّبعه حتى تَتَدَبّره فان كان مُوافقا لعقلكَ مُصْلحا لحالكَ فَراعِ ذلكَ عنـدكَ والا فانْبِذْه نَبْذَ النَواة فليس لكل أحد يُتَبَسّم ولا كل شخص يُكَلّم ولا الجُود مما يُعَمّ به ولا حُسْن الظّنّ وطيبُ النَفْس مما يُعامَل به كلُّ أحد ولله درّ القائل

ومالِى لا أُوفِى البَرِيّةَ قِسْـطَها ✻ على قَدْر مايُعْطِى وعَقْلِى مِيزانُ

واياك أن تُعطى من نفسك الا بقدر فلا تُعامل الدُّونَ بمعاملة الكُفء ولا الكُفءَ بمعاملة الأعلى ولا تُضيّع عُمرك فيمن يُعاملك بالمطامع ويُثيبك على مصلحة حاضرة عاجلة بغائبة آجلة ولا تجُفُّ الناسَ بالجملة ولكن يكونُ ذلك بحيث لا يلحق منه مَلَل ولا ضجر ولا جفاء فمتى فارقتَ أحدًا فعلى حُسنى فى القول والفعل فانك لا تدرى هل أنتَ راجعُ اليه فذلك قال الاول (ولما مضى سَلْم بكيتُ على سَلْم) واياك والبيت السائر

وكنتَ اذا حللتَ بدار قوم * رحلتَ بخُزية وتركتَ عارا

واحرص على ما جمع قول القائل ثلاثةٌ تُبقى لك الوُدَّ فى صدر أخيك أن تبدأه بالسلام وتوسّع له فى المجلس وتدعوه بأحبّ الأسماء اليه واحذر كل ما بيّنه لك القائل كل ما تغرسه تجنيه الا ابن آدم فانك تغرسه يتقاعُد وقول الآخر ابن آدم ذئب مع الضعف أسدٌ مع القوّة واياك أن تثبت على صُحبة أحد قبل أن تُطيل اختباره . ويحكى أن ابن المقفع خطب من الخليل صُحبته فأجابه انّ الصُّحبة رِق ولا أضع رِقى فى يدك حتى أعرف كيف مَلَكتُك واستملك من عين من تُعاشره وتفقد فى فلتات الألسن وصفحات الأوجه ولا يحملك الحياء على السكوت عما يشترك أن لا تبيّنه فانّ الكلام سلاح السِّلم وبالأنين يُعرف الم الجُرح واجعل لكل أمر أخذت فيه غايةً تجعلها نهاية لك

وخُذْ من الدهر ما أتاكَ به ✻ مَن قَرَّ عَيْنًا بعَيْشِـه نَفَعَه

اذ الافكار تَجْلُب الهُموم وتُضاعف الغُموم ومُلازَمة القُطوب عُنْوان المَصائب والخُطوب يَسْتَريب به الصاحب ويَشْمَت العَدُوّ والمُجانب ولا تَضُرّ بالوَساوس الا نَفْسَكَ لأنكَ تَنْصُر بها الدهر عليكَ ولله در القائل

اذا ما كنتَ للاحزان عَوْنًا ✻ عليكَ مع الزمان فَمَنْ تَلُوم

مع انه لا يَرُدّ عليكَ الغائبَ الحُزْن ولا يَرْعَوِي بطُول عَتْبِكَ الزَمَنُ ولقد شاهَدْتُ بغَرْناطَة شَخْصا قد ألِفَتْه الهُموم وعَشِقَتْه الغُموم ومن صِغَره الى كِبَره لا تَراه أبدا خَلِيًا من فِكْرَة حتى لُقِّب بصَدْر الهَمّ ومن أعْجَب ما رأيتُه منه انه يَتَنَكَّد فى الشِدّة ولا يَتَعَلَّل بأن يكونَ بَعْدَها فَرَج ويَتَنَكَّد فى الرَّخاء خَوفا من أن لا يَدُوم ويُنْشِد

✻ تَوَقَّعْ زَوالًا اذا قيلَ تَمّ ✻ وينشد ✻ وعند التَناهِي يَقْصُر المُتَطاوِل ✻

وله من الحكايات فى هذا الشأن عجائب ومثل هـذا عُمْرُه مَحْسور يُمَرّ ضَياعا ومتى رَفَعَكَ الزمانُ الى قومٍ يَذُمّون من العِلْم ما تُحْسِنه حَسَدًا لكَ وقَصْدًا لتَصْغير قَدْرِكَ عندكَ وتَزْهيدا لكَ فيه فلا يَحْمِلْكَ ذلكَ على أن تَزْهَد فى عِلْمِكَ وتَرْكَن الى العِلْم الذى مَدَحُوه فتكونَ مِثْلَ الغُراب الذى أعْجَبَه مَشْيُ الحَجَلة فَرامَ أن يَتَعَلَّمَه فَصَعُب عليه ثم أراد أن يرجع الى مَشْيِه فنَسِيَه فبَقِيَ مُخْبَل المَشْى كما قيل

انّ الغراب وكان يمشي مشيةً * فيما مضى من سالف الأجيال
حسد القطا وأراد يمشي مشيها * فأصابه ضربٌ من العقّال
فاضل مشيتك وأخطأ مشيها * فلذاك كنّوه أبا مرقال

ولا يفسد خاطرك من جعل يذمّ الزمان وأهله ويقول ما بقي في الدنيا كريم ولا فاضل ولا مكان يرتاح فيه فانّ الذين تراهم على هذه الصفة أكثر ما يكونون ممن جمد الحرمان واستحقّت طلعته الهوان وأبرموا على الناس بالسؤال فمقتوهم وعجزوا عن طلب الامور من وجوهها فاستراحوا الى الرقوع في الناس وأقاموا الأعذار لأنفسهم بقطع أسبابهم ولا تزل هذين البيتين من فكرك

ان اذا نالت عزّا * فأخو العزّ يلين
واذا نابك دهرٌ * فكما كنت تكون

والامثال تضرب لذي اللبّ الحكيم وذو البصر يمشي على الصراط المستقيم والفدن يقنع بالقليل ويستدلّ باليسير والله سبحانه خليفتي عليك لذ به سؤلك

الجامع الازهـــر

هذا الجامع أول مسجد أسّس بالقاهرة والذي أنشأه القائد جوهر الكاتب المعزلي مولى الامام أبي تميم معدّ الخليفة أمير المؤمنين المعزّ

لدين الله لمّا اختطّ القاهرة وشُرِعَ فى بناء هذا الجامع فى يوم السبت لستّ بقين من جُمَادَى الاولى سنة تسع وخمسين وثلاثمائة وكُمل بناؤه لتسعٍ خلون من شهر رمضان سنة احدى وستين وثلاثمائة وجُمِّع فيه وكُتب بدائر القبّة التى فى الرّواق الاول وهى على يمنة المحراب والمنبر مانصه بعد البسملة مما أمر ببنائه عبد الله ووليه أبو تميم معد الامام المعز لدين الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه وأبنائه الاكرمين على يد عبده جوهر الكاتب الصقلى وذلك فى سنة ستين وثلاثمائة وأول جمعة جُمِّعت فيه فى شهر رمضان لسبع خلون منه سنة احدى وستين وثلاثمائة ثم ان العزيز بالله أبا منصور نزار بن المعز لدين الله جدّد فيه أشياء وفى سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة سأل الوزير أبو الفرج يعقوب بن يوسف بن كلس الخليفة العزيز بالله فى صلة رزق جماعة من الفقهاء فأطلق لهم مايكفى كل واحد منهم من الرزق الناضّ وأمر لهم بشراء دار وبنائها فَبُنيَت بجانب الجامع الازهر فاذا كان يوم الجمعة حضروا الى الجامع وتحلّقوا فيه بعد الصلاة الى أن تُصَلَّى العصر وكان لهم أيضا من مال الوزير صلة فى كل سنة وكانت عدّتهم خمسة وثلاثين رجلا وخلع عليهم العزيز يوم عيد الفطر وحملهم على بغلات ويقال ان بهذا الجامع طلسما فلا يسكنه عصفور ولايفرخ به وكذا سائر الطيور

من الحمام والحمام وغيره وهو صورة ثلاثة طيور منقوشة كل صورة على رأس عمود فيها صورتان فى مقدم الجامع بالرواق الخامس منها صورة فى الجهة الغربية فى العمود وصورة فى احدى العمودين اللذين على يسار من استقبل سدة المؤذنين والصورة الاخرى فى الحجر فى الاعمدة القبلية مما يلى الشرقية ثم ان الحاكم بأمر الله جدده ووقف على الجامع الازهر وجامع المقس والجامع الحاكمى ودار العلم بالقاهرة رباعًا بمصر ثم ان المستنصر جدد هذا الجامع أيضا وجدده الحافظ لدين الله وأنشأ فيه مقصورة لطيفة تجاور الباب الغربى الذى فى مقدم الجامع بداخل الرواقات عُرفت بمقصورة فاطمة من أجل ان فاطمة الزهراء رضى الله تعالى عنها رؤيت بها فى المنام ثم انه جُدّد فى أيام الملك الظاهر بيبرس البندقدارى قال القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر فى كتاب سيرة الملك الظاهر لما كان يوم الجمعة الثامن عشر من ربيع الاول سنة خمس وستين وستمائة أقيمت الجمعة بالجامع الازهر بالقاهرة وسبب ذلك ان الامير عز الدين أيدمر الحلى كان جار هذا الجامع من مدة سنين فرجى وفقه الله حرمة الجار ورأى أن يكون كما هو جاره فى دار الدنيا انه عسى يكون ثوابه جاره فى تلك الدار ورسم بالنظر فى أمره وانتزع له أشياء مغصوبة كان شئ منها فى أيدى جماعة وحاط أموره حتى جمع

له شيأ صالحا وجرى الحديث فى ذلك فتبرع الامير عز الدين له بجملة مستكثرة من المال الجزيل وأطلق له من السلطان جملة من المال وشرع فى عمارته فعمّر الواهى من أركانه وجدرانه وبيّضه وأصلح سقوفه وبلّطه وفرشه وكساه حتى عاد حَرَما فى وسط المدينة واستجدّ به مقصورة حسنة وأثر فيه آثارا صالحة يثيبه الله عليها وعمل الامير بيلبك الخازندار فيه مقصورة كبيرة رتب فيها جماعة من الفقهاء لقراءة الفقه على مذهب الامام الشافعى رحمه الله ورتب فى هذه المقصورة محدّثا يُسْمِع الحديث النبوى والرقائق ووقف على ذلك الاوقاف الدارّة ورتّب به سبعة لقراءة القرآن الكريم ورتّب به مدرّسا أثابه الله على ذلك ولما تكمل تجديده تحدث فى اقامة جمعة فيه فنودى فى المدينة بذلك واستخدم له الفقيه زين الدين خطيبا وأقيمت الجمعة فيه فى اليوم المذكور وحضر الأتابك فارس الدين والصاحب بهاء الدين على بن حنا وولده الصاحب فخر الدين محمد وجماعة من الامراء والكبراء وأصناف العالم على اختلافهم وكان يوم جمعة مشهودا ولما فرغ من الجمعة جلس الامير عز الدين الحلى والاتابك والصاحب وقرئ القرآن ودعى للسلطان وقام الامير عز الدين ودخل الى داره ودخل معه الامراء فقدّم لهم كل ماتشتهى الانفس وتلذ الاعين وانفصلوا وكان قد جرى الحديث فى أمر جواز الجمعة فى الجامع

وما ورد فيه من أقاويل العلماء وكُتب فيها فُتيا أُخذ فيها خطوط العلماء بجواز الجمعة فى هـذا الجامع واقامتها فكتب جماعة خطوطهم فيها وأقيمت صلاة الجمعة به واستمرت ووجد الناس به رفقا وراحة لقربه من الحارات البعيدة من الجامع الحاكمى قال وكان سقف هـذا الجامع قد بنى قصيرا فزيد فيه بعد ذلك وعلا ذراعا واستمرت الخطبة فيه حتى بنى الجامع الحاكمى وانتقلت الخطبة اليه فان الخليفة كان يخطب فيه خطبة وفى الجامع الازهر خطبة وفى جامع ابن طُولُون خطبة وفى جامع مصر خطبة وانقطعت الخطبة من الجامع الازهر لما استبدّ السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بالسلطنة فانه قلد وظيفة القضاء لقاضى القضاة صدر الدين عبدالملك بن درباس فعمل بمقتضى مذهبه وهو امتناع اقامة الخطبتين للجمعة فى بلد واحد كما هو مذهب الامام الشافعى فأبطل الخطبة من الجامع الازهر وأقر الخطبة بالجامع الحاكمى من أجل انه أوسع فلم يزل الجامع الازهر معطلا من اقامة الجمعة فيه مائة عام من حين استولى السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب الى ان أعيدت الخطبة فى أيام الملك الظاهر بيبرس كما تقدم ذكره ثم لما كانت الزلزلة بديار مصر فى ذى الحجة سنة اثنتين وسبعمائة سقط الجامع الازهر والجامع الحاكمى وجامع مصر وغيره فتقاسم امراء الدولة عمارة الجوامع

فتولى الامير ركن الدين بيبرس الجاشنكير عمارة الجامع الحاكمى وتولى الامير سلار عمارة الجامع الازهر وتولى الامير سيف الدين بكتمر الجوكندار عمارة جامع الصالح فجددوا مبانيها وأعادوا ماتهدم منها ثم جددت عمارة الجامع الازهر على يد القاضى نجم الدين محمد بن حسين بن على الاسْعَرْدى محتسب القاهرة فى سنة خمس وعشرين وسبعمائة ثم جددت عمارته فى سنة احدى وستين وسبعمائة عند ماسكن الامير الطواشى سعد الدين بشير الجامدار الناصرى فى دار الامير فخر الدين أبان الزاهدى الصالحى النجمى بخُطّ الابارين بجوار الجامع الازهر بعد ماهدمها وعمرها داره التى تعرف هنالك الى اليوم بدار بشير الجامدار فأحَبّ لقُرْبه من الجامع أن يُؤَثِّر فيه أثرا صالحا فاستأذن السلطان الملك الناصر حسن بن محمد ابن قلاوون فى عمارة الجامع وكان أثيرا عنده مُخَصَّصا به فأذن له فى ذلك وكان قد استجدّ بالجامع عدّة مَقاصير ووُضِعَتْ فيه صناديق وخزائن حتى ضيّقته فأخرج الخزائن والصناديق ونَزَع تلك المقاصير وتَتَبّع جُدْرانه وسقوفه بالاصلاح حتى عادت كأنها جديدة وبيّض الجامع كله وبلّطه ومنع الناس من المرور فيـه ورتب فيه مصحفا وجعل له قارئا وأنشأ على باب الجامع القبلى حانوتا لتسبيل الماء العذب فى كل يوم وعمل فوقه مَكْتَبَ سبيلٍ لاقراء أيتام المسلمين كتاب الله العزيز ورتب للفقراء المجاورين

طعاما يُطْبخ كل يوم وأنزل اليـه قدورا من نحاس جعلها فيه ورتب فيه درسا للفقهاء من الحنفية يجلس مُدَرّسهم لالقـاء الفقه فى المحراب الكبير ووقف على ذلك أوقافا جليلة باقية الى يومنا هذا ومؤذنو الجامع يدعون فى كل جمعـة وبعد كل صـلاة للسلطان حسن الى هذا الوقت وفى سنة أربع وثمانين وسبعمائة وُلّى الامير الطواشى بَهادُر المقدّم على المماليك السلطانيـة نَظَرَ الجامع الازهر فتنجّز مرسومَ السلطان الملك الظاهر برقوق بأنّ من مات من مجاورى الجامع الازهر عن غير وارث شرعى وترك موجودا فانه يأخُـذُه المجاورون بالجامع ونقش ذلك على حجر عند الباب الكبير البحرى وفى سنة ثمانمائة هدمت منارة الجامع وكانت قصيرة وعُمّرت أطول منها فبلغت النفقة عليها من مال السلطان خمسة عشر ألف درهم نَقْرة وكملت فى ربيع الآخر من السنة المذكورة فَعُلّقت القناديل فيها ليلة الجمعة من هذا الشهر وأُوقدت حتى اشـتعل الضوء من أعلاها الى أسفلها واجتمع القراء والوعاظ بالجامع وتَلَوا ختمة شريفة ودَعَوا للسلطان فلم تزل هذه المئذنة الى شوال ستة سبع عشرة وثمانمائة فهُدمت لميْل ظَهَر فيها وعُمـل بَدلها منـارة من حجر على باب الجامع البحرى بعد ماهدم البـاب وأعيـد بناؤه بالحجر وركبت المنارة فوق عقده وأُخذ الحجر لها من مدرسة الملك الاشرف خليل التى كانت

تجاه قلعة الجبل وهدمها الملك الناصر فرج ابن برقوق وقام بعمارة ذلك الامير تاج الدين الشوبكي والى القاهرة ومحتسبها الى أن تمت فى جمادى الآخرة سنة ثمان عشرة وثمانمائة فلم تقم غير قليل ومالت حتى كادت تسقط فهدمت فى صفر سنة سبع وعشرين وأعيدت وفى شوّال منها ابتدئ بعمل الصهريج الذى فى وسط الجامع فوجد هنالك آثار فسقية ماء ووجد أيضا رمم أموات وتم بناؤه فى ربيع الاول وعمل باعلاه مكان مرتفع له قبة يُستَظَل فيه الماء وغُرس بصحن الجامع أربع شجرات فلم تفلح وماتت ولم يكن لهذا الجامع ميضأة عند ما بنى ثم عملت ميضأته حيث المدرسة الاقبغاوية الى أن بنى الامير أقبغا عبدالواحد مدرسته المعروفة بالمدرسة الاقبغاوية هنالك وأما هذه الميضأة التى بالجامع الآن فان الامير بدر الدين جنكل بن البابا بناها ثم زيد فيها بعد سنة عشر وثمانمائة ميضأة المدرسة الاقبغاوية وفى سنة ثمان عشرة وثمانمائة ولى نظر هذا الجامع الامير سودوب القاضى حاجب الحجاب فجرت فى أيام نظره حوادث لم يتفق مثلها وذلك انه لم يزل فى هذا الجامع منذ بنى عدة من الفقراء يلازمون الاقامة فيه وبلغت عدتهم فى هذه الايام سبعمائة وخمسين رجلا مابين عجم وزيالعة ومن أهل ريف مصر ومغاربة ولكل طائفة رواق يعرف بهم فلا يزال الجامع عامرا بتلاوة القرآن

ودراسته وتلقينه والاشتغال بأنواع العلوم الفقه والحديث والتفسير والنحو ومجالس الوعظ وحلق الذكر فيجد الانسان اذا دخل هذا الجامع من الانس بالله والارتياح وترويح النفس مالا يجده فى غيره وصار أرباب الاموال يقصدون هذا الجامع بأنواع البر من الذهب والفضة والفلوس اعانةً للمجاورين فيه على عبادة الله تعالى وكلّ قليل تُحمَل اليهم أنواع الاطعمة والخبز والحلاوات لاسيما فى المواسم فأمر فى جمادى الاولى من هذه السنة باخراج المجاورين من الجامع ومنعهم من الاقامة فيه واخراج ما كان لهم فيه من صناديق وخزائن وكراسى المصاحف زعما منه ان هذا العمل مما يثاب عليه وما كان الا من أعظم الذنوب وأكثرها ضررا فانه حل بالفقراء بلاء كبير من تشتت شملهم وتعذر الاماكن عليهم فساروا فى القرى وتبذلوا بعد الصيانة وفقد من الجامع أكثر ما كان فيه من تلاوة القرآن ودراسة العلم وذكر الله ثم لم يرضه ذلك حتى زاد فى التعدى وأشاع أن أناسا يبيتون بالجامع ويفعلون فيه منكرات وكانت العادة قد جرت بمبيت كثير من الناس فى الجامع ما بين تاجر وفقيه وجندى وغيرهم منهم من يقصد بمبيته البركة ومنهم من لايجد مكانا يُؤويه ومنهم من يَستَروح بمبيته هنالك خصوصا فى ليالى الصيف وليالى شهر رمضان فانه يمتلئ صحنه وأكثر رواقاته فلما كانت ليلة

الاحد الحادى عشر من جمادى الآخرة طرق الامير سودوب الجامع بعد العشاء الآخرة والوقت صيف وقبض على جماعة وضربهم فى الجامع وكان قد جاء معه من الأعوان والغلمان وغوغاء العامة ومن يريد النهب جماعة كَثَل بمن كان فى الجامع أنواع البلاء ووقع فيهم النَّهْب فأُخِذَت فُرُشهم وعمائمهم وفُتِّشَت أوساطهـم وسُلبوا ما كان مربوطا عليها من ذهب وفضـة وعَمل ثوبا أسودَ للمنبر وعَلَمَين مُزَوَّقين بلغت النفقة على ذلك خمســة عشر ألف درهـم على مابلغنى فعاجل الله الامير سودوب وقبض عليه السلطان فى شهر رمضان وسجنه بدمشق

ذكر جامع دِمَشق المعروف بجامع بنى أُمَيّة

وهو أعظم مساجد الدنيا احتفالا وأتقنها صناعة وأبدعها حسنا وبهجة وكمالا ولا يُعْلَم له نظير ولا يوجَد له شبيه وكان الذى تولى بناءه واتقانه أمير المؤمنين الوليـد بن عبد الملك بن مروان ووَجّه الى ملك الروم بقسطنطينية يأمره أن يبعث له الصُّنَّاع فبعث اليـه اثنى عشر ألف صانع وكان موضع المسجد كنيســة فلما افتتح المسلمون دمشق دخل خالد بن الوليـد رضى الله عنه من احدى جهاتها بالسيف فانتهى الى نصف الكنيسة ودخل أبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه من الجهة الغربيـة صلحا فانتهى الى نصف الكنيسة فصنع المسلمون من نصف

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك اللهم ونستعينك ونصلي ونسلم على صفوتك من خليقتك سيدنا ومولانا محمد الذى آتيته جوامع الكلم وأنزلت عليه كتابك المبين معجزا لجميع العالمين وعلى آله وصحبه الذين قاموا بهديه خير قيام فاشرقت بهم أنوار المدنية القويمة على جميع الانام

أما بعد فهذا كتاب قد جمعناه لتلاميذ المدارس الثانوية وصدرناه بمقدمة طويلة بينا فيها حالة اللغة العربية قبل الاسلام وبعده وسعتها لتدوين العلوم على كثرتها واختلافها وفضلها على المدنية التى عمت جميع الممالك الاسلامية لبيان عظمتها واتساعها ثم أتبعنا ذلك بتراجم بعض المشهورين من الشعراء والكتاب والخطباء والعلماء ثم أثبتنا بعض المختارات من النثر والنظم فى كل عصر لتكون معتمد التلاميذ فى معرفة كثير من مفردات اللغة النافعة وأساليبها الحسنة المختلفة ومعانيها الشريفة وتراكيبها المتينة فصار هذا الكتاب بذلك كتاب أدب ومطالعة ومختارات للحفظ يجد فيه التلميذ ضالته التى ينشدها وبغيته التى يطلبها

ولما كانت كل أعمال الانسان فى ابتدائها ناقصة لم تصل الى درجة كمالها كان لنا الامل فى أن يكون هذا الكتاب فى المستقبل أكمل مما هو عليه الآن بعد اعادة طبعه والله الموفق .